**محاضرة رقم 05:**

**المؤثرات الأجنبية في النقد العربي القديم:**

**أولا: الترجمة والتأثير الأجنبي:**

اهتم العرب بالترجمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كضرورة حضارية مهمة لتوصيل الرسالة لجميع الأمم. ولكن النشاط الفعلي للترجمة ظهر في العصرين الأموي والعباسي، حيث يتفق المؤرخون العرب والأجانب على أن العصر الأموي عرف بنقل المصنفات الإغريقية والسريانية إلى اللغة العربية. وقد كانت من ميادين عدة ومختلفة نذكر منها : الطب والفلك والكيمياء، كما نالت الترجمة في العصر العباسي الحظوة العظمى، إذ يعتبر هذا العصر الفترة الذهبية لتطورها وازدهارها سواء من حيث التنظيم أو من حيث غزارة الإنتاج وجودته، ولا سيما في خلافة كل من أبي جعفر المنصور (136- 158ه) و(هارون الرشيد) (170 -194 ه)، ثم (الخليفةالمأمون) ( 198-218 ه).

 فقد أدى اهتمام هؤلاء بميدان علوم الفلك والنجوم، وحرصهم على معرفة ما كتبه السلف وباقي الأمم، لأن يأمروا بنقل كتب الفلسفة والطب والفلك والحكمة والمنطق.

كما بلغ اهتمام الخليفة (هارون الرشيد) بالعلوم الأجنبية، أن أرسل بعثات علمية إلى الروم بغية البحث عن المخطوطات اليونانية وجلبها إلى الوطن مهما كان ثمنها، كما تأسست في عهد الخليفة (المأمون) مدرسة علمية ذائعة الصيت عرفت بــ (بيت الحكمة)، مقرها بغداد. وقد اهتمت بالأبحاث العلمية المتميزة، وكذا بالترجمة والتأليف في مختلف المجالات والميادين، فبرز، نتيجة لذلك، علماء على درجة عظيمة من العلم والتبحر في المعرفة.

وفي هذه المرحلة تم التطرق إلى مواضيع ومجالات متعددة كالرياضيات والتاريخ والأخلاق والنفسيات والفلسفة والطب.

عموما فإن حركة النقل والترجمة التي حدثت إبان العصر العباسي، تعتبر أول حركة مُنظمة ومُرتبة في تاريخ المسلمين، قام فيها العرب بالترجمة عن لغات متعددة مثل الهندية والفارسية والسريانية والقبطية إلى العربية. كما تميزت هذه التراجم بتنوعها إذ راحت تغطى شتى أنواع العلوم على اختلافها: الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات والكيمياء والطبيعة والأدب وغيرها.

أما عن أبرز المترجمين فنذكر:

**حُنين بن إسحاق (ت260ه):** أجاد اليونانية والسريانية والفارسية، وكان رئيس بيت الحكمة. تمكن من ترجمة الكثير من مصنفات (أبقراط) و(جالينوس). كما ترجم لسقراط، وترجم التّوراة من اليونانية إلى العربية. ولم يقتصر دوره على التّرجمة فقط، وإنّما عمل على تدريسها أيضا.

**ولده إسحاق بن حُنين بن إسحاق (ت298ه)**، وقد قام بترجمة الطبّ والفيزياء والفلسفة اليونانية للعربية. وكانت ترجماته تتميز بالدّقة التي تدل على فهم عميق لفكر أرسطو.

ومن أعلام الترجمة القدامى –أيضا- يوحنا بن البطريق، وقد ترجم الكثير من كتب أرسطو، والحجاج بن يوسف بن مطر الوراق الكوفي (عاش سنة 314هـ)، وقسطا بن لوقا البعلبكي (عاش سنة 230هـ)، وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي (عاش سنة 520هـ)، وثابت بن قرة (ت288هـ)، وحبيش الأعسم ابن أخت حنين (ت301هـ)، ومتى بن يونس (ت320هـ)، وسنان بن ثابت بن قرة (ت 360هـ)، ويحي بن عدي (ت 364هـ) وغيرهم.

ولم يكن الفكر اليوناني وحده مؤثرا في الحضارة العربية، فقد نالت الحضارة الفارسية والهندية اهتماما من المترجمين، وكان لهما أثر واضح، وخاصة في مجال الأدب. ومن الذين عرفوا بترجمة الكتب الفارسية: عبد الله بن المقفع، الحسن بن سهل. حيث ترجم الأول عن الفرس أهم أثر هندي في الأدب العربي وهو: كليلة ودمنة، إضافة إلى: الأدب الكبير، الأدب الصغير، كتاب اليتيمة عن الهندية، وقد انتقل جزء كبير من ثقافة الهند وعلومهم إلى فارس، وعبرها إلى العربية، ومن العلوم التي أخذها المسلمون عنهم: الطب والفلك والرياضيات والحكمة والأدب والبلاغة. ومما استعاروه في مجال البلاغة، المفهوم، وفكرة ''مقتضى الحال''. وقد ذكر الجاحظ في (البيان والتبيين) وابن رشيق المسيلي في (العمدة) نماذج وأقوال عنهم.

**صور عن التأثير الأجنبي في النقد العربي القديم:**نماذج التأثر بالثقافة الأجنبية كثيرة في النقد العربي القديم، سنركز على شخصيتين نقديتين هما: قدامة بن جعفر وحازم القرطاجني.

**قُدامة بن جعفر** بن زياد البغدادي البصري ولد سنة (260ه) أو (276ه)، وتوفِّي عام (337 ه). نشأ في بغداد. أدرك ثعلبًا والمبرِّد وابن قتيبة وطبقتهم. كان نصرانيا ثم أسلَم على يد الخليفة العباسيِّ المكتفي بالله. من أهم ما ألف كتاب (نقد الشعر)، أوَّل أثر نقديٍّ عِلميٍّ في الأدب العربي. إضافة إلى براعته في البلاغة والأدب والفقه والكلام، تأثَّر بالمنطق والفلسفة، وظهر ذلك واضحا في نظرته للشعر ولعلم البديع.

يقول قدامة في تعريفه للشعر: ''إنَّ أول ما يُحتاج إليه في العبارة عن هذا الفنِّ معرفةُ حدِّ الشعر الحائز له عمَّا ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغُ ولا أوجزُ - مع تمام الدلالة - مِن أن يُقال فيه: إنه قولٌ موزون مقفًّى يدلُّ على معنًى''. ثم شرَح هذا التعريف: ''فقولُنا: (قول) دالٌّ على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشِّعر. وقولنا: (موزون) يَفصِله مما ليس بموزون؛ إذ كان من القول موزونٌ وغير موزون.

وقولنا: (مقفًّى) فصلٌ بينَ ما له من الكلام الموزون قوافٍ، وبين ما لا قوافيَ له ولا مَقاطع. وقولنا: (يدل على معنى) يَفصل ما جرى من القول على قافية ووزنٍ، مع دلالةٍ على معنًى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى؛ فإنه لو أراد مريدٌ أن يَعمل من ذلك شيئًا على هذه الجهة لأمكَنه وما تعذَّر عليه''.

(أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، مصر، 20 رجب 1398، 26 يونيو 1978، ص: 17)

وبين هذه العناصر علاقات تدخلها في تركيبات وائتلافات، كما تحكمها معايير ونعوت تحدد درجة الجودة فيها أو الرداءة على هذا النَّحو:

\* اللفظ مع الوزن.

\* اللفظ مع المعنى.

\* الوزن مع المعنى.

\* القافية مع المعنى.

 ثم فصّل في معايير الجودة في الشعر ونعوته، وصنفها إلى عناصر شكلية ومنها:

أ - نعت اللفظ: ويَشترط فيه الفَصاحة والسماحةَ وخُلوَّه من البشاعة.

ب - نعت الوزن: ويشتَرط فيه أن يكون سهل العروض.

ج - نعت القافية: ويشترط فيها أن تكون العذوبةَ والسلاسةَ.

2- وأخرى متعلقة بالمعنى: وتتمثل في:

أ-صحَّة المعنى: بوضعُ الكلمات في قوالِبَ ملائمة لنفسية المتلقِّي، من غير إحالة أو إغراق.

ب - مطابقة الغرَض للمعنى، واختيار الألفاظ التي تُلائمه.

بعدها عالج قدامة معايير الرداءة في الشعر وعيوبه، وهي كالآتي:

1-عيوب شكلية: وهي:

أ- عيوب اللفظ: بأن يكون ملحونًا وجاريًا على غيرِ سبيل الإعراب واللغة أو شاذًّا، ومن العيوب المعاظلة.

ب - عيوب الوزن: وهو التخلُّع، وهو أن يَكون قبيحَ الوزن قد أفرط تزحيفه.

ج - عيوب القافية: ومنها التجميع.

2- عيوب المعاني: ومنها:

أ - فساد الأقسام، فساد المقابلات، مخالفة العُرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع.

(المصدر نفسه، ص: 35 وما بعدها).

عموما، أحدث قدامة بكتابه ردة فعل مميزة في تاريخ النقد العربي، واختلفت نظرة النقاد إليه بين مستحسن ومستهجن، فقد وضع عبد اللطيف البَغدادي كتابه (كشف الظُّلامة عن قدامة)، وكتب الآمدي كتابًا سماه (تبيين غلط قدامة)، وابن رَشيق (تزييف نقد قدامة).

وأغلب الظن أن عزوف بعض النقاد عن كتاب قدامة هو النظرة المنطقية الصارمة التي عالج بها الشعر والبديع، إذ لم يقم بنقد العمل الشعريِّ انطلاقًا مما توجبه الظاهرةُ نفسُها، ولكنه أقام بناء نقديًّا بعد ذلك أقحَم فيه الشِّعر.

**القرطاجني** أبو الحسن حازم، ولد سنة (608ه) بقرطاجنة ونسب إليها، بدأ مسيرته بحفظ القرآن الكريم، ثمّ قواعد اللغة والنحو والفقه والحديث والعلوم الشرعية والفلسفية. هاجر ككثير من مواطنيه بعد توالي هزائم المسلمين في الأندلس ناحية مراكش بالمغرب الأقصى، ومنها دخل تونس حيث توفي سنة (684ه) تاركا إرثا فكريا محترما.

حاور كتاب فن الشعر لأرسطو من خلال قراءات ابن سينا (ت428ه) والفارابي (ت339ه) وابن رشد (ت595ه).

وقد دفعه للاهتمام بنقد الشعر ما لاحظه من خلط وتدهور في المفاهيم بما يتطلب إعادة تنظيمها والتنظير لفهمها، بترتيب السليم وبعثه من جديد، وطرح الخاطئ فيها.

وأول ما لاحظه القرطاجني الفروق الواقعة بين الأدبين اليوناني والعربي، لأنّ ''جلّ أشعارهم على خرافات... وكانت لهم طريقة أيضا ـــــــ وهي كثيرة في أشعارهم ــــــ يذكرون فيها انتقال أمور الزمان وتصاريفه، وتنقل الدول وما تجري عليه أحوال الناس وتؤول إليه''، فلو ''وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإيقاع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية''.

(حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 68، 69).

من آرائه في حدّ الشعر: ''الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك. والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها - بما هي شعر- غير التخييل''.

(حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 89)

وتحقيق تلك الغاية مرتبط ''بما يتضمن (أي الشعر) من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو شهرته، أو بمجموع ذلك''.

(حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 69).

وهنا يضعنا القرطاجني أمام عمل قوّتين مهمتين هما: المحاكاة والتخييل، إذ حلّل وفقهما العملية الإبداعية من جانب الإبداع ومن جانب التلقي، اقتداء بالفلاسفة الذين تعقبوا القول الشعري، باعتباره عملا مخيلا قائما على فنّ المحاكاة، وعبرهما (أي المحاكاة والتخييل)، قدم آراءه فيما يتعلق بعوامل الإبداع، والصدق في الشعر، والفرق بينه وبين الخطابة، وأغراضه ومعانيه، والأوزان العروضية. وقد حلل كل تلك القضايا من وجهة نظر فلسفية مزج فيها بين النظرة المنطقية للشعر بالبلاغة العربية، ما جعل كتابه من أهم كتب النقد العربي القديم من حيث نضج الفكرة وجدة الطرح.

**مراجع للتوسع:**

1- نقد الشعر؛ أبو الفرَج قدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981

3- سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، ط1، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، نشر عالم الكتب، 1400ه، 1980م.

4- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2001.

5- عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

**محاضرة رقم 06:**

**قضايا النقد عند الفلاسفة:**

مهدت عوامل حضارية كثيرة أولها التوسع الجغرافي للمسلمين، واختلاطهم بباقي الأجناس والأمم لأن يتأثر الـعرب بمن سبقهم من فلاسفة اليونان، وفي مقدمتهم أرسطـو وأفلاطون، حيث يبدو هـذا الـتأثـر واضـحـا خاصـة عـلى الفلاسفة المسلمين أمـثال الـفارابـي وابـن سـينـا وابن رشد .

**قضايا النقد عند الفلاسفة المسلمين:**

عالج الفلاسفة المسلمون قضايا كثيرة متعلقة بالشعر وبالخطابة ومنها: ماهية الشعر، وقضية المحاكاة والتخييل، وأوزان الشعر وأغراضه، والصدق والكذب، والمجاز وغيرها، وفيما يلي نماذج عن أبرزها من خلال أعلام النقد الفلسفي:

**أولا: الفارابي** أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ، من أكبر فلاسفة المسلمين، ولد عام (260 للهجرة)، انتقل إلى مدينة بغداد وقد ألّف أكثر كتبه فيها، ثم مصر والشّام. توفي في دمشق في عام (339 للهجرة). درس الفلسفة والآداب والطب، وأتقن من اللغات: التّركيّة والفارسيّة واليونانيّة. كان تلميذ يوحنّا بن حيلان في الطب، وأبي بشر متّى بن يونس في الفلسفة والمنطق، وأبي بكر بن السّراج في علم النّحو والمنطق.

تميّز الفارابي بشكلٍ خاصٍّ في شرح مؤلفات الفيلسوف أرسطو حتى أُطلق عليه لقب (المعلّم الثّاني)، كما وضع العديد من المؤلفات في مختلف المجالات منها: شرح العبارة لأرسطو، شرح كتاب المقولات لأرسطو، الألفاظ المستعملة في المنطق، شرائط اليقين، كتاب الشّعر، كتاب الخطابة، رسالة في قوانين صناعة الشّعر، إحصاء العلوم، كتاب الحروف.تأثر الـفارابـي بالثقافة الـيونانيـة وبـأرسطـو واضح، يدل عليه ما ذكره حول مفهوم الشعر وقضاياه، فقد ترك بصمة واضحة فيما يخص تعامله مع الترجمات العربية التي سبقته لفن الشعر الأرسطي، وأول ما يلحظه قارؤه، هو ابتعاده عن ( متى بن يونس) فــي تـسميتـه لـلتراجيديـا والـكومـيديـا بـالمدح والـهجاء ، لأنه سمـاها (طراغوذيا ) و(قوموذيا)، واعتماده على مـقـولات أرسطـو فـي حديثه عن الشعر مسـتبدلا مصطلح (الشعر) بـ (الأقاويل الشعرية)، وهي: ''التي من شأنها أن تؤلف منها أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول وتعتمد على الكذب لأنها تهدف إلى محاكاة الشيء على غير ما هو عليه في الواقع بل على ما يريد الشاعر''.

صنف المحاكاة إلى نوعين: فــ'' قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان بيده شيئا ما، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك. والمحاكاة بقول: هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء''.

جعل الفارابي الفنون كلها تلتقي حول مبدأ المحاكاة ، وتختلف مع بعـضها فـي وسـائـل وأدوات هـذه المحـاكـاة ، وهي ليست استنساخا للواقع ، أو نقلا لمعطياته ، إنما هي خلق وتخييل وتشكـيل لأن غرض المبدع هو : "أن يوقع في ذهن السامعين والمتلقين المحاكي للشيء بدلا من الشيء نفسه". وهي فعالية مشتركة بين كل الفنون الممكنة كما يتضح من قوله: ''فإن محاكاة الأمور قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان  بيده شيئا ما ، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك. والمحاكاة بقوله : هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء''.

(ينظر: مقالة في قوانين صناعة الشعراء ص 150 وما بعدها).

فالفنون كلها تلتقي حول مبدأ  المحاكاة، وتختلف بعد ذلك في وسائلها وأدواتها.

**ثانيا: ابن سينا** أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ال[عالم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85_%28%D9%85%D9%87%D9%86%D8%A9%29) [الطبيب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%A8). ولد عام (370ه). تلقى تعليمه الأول على يد أبيه. حفظ القرآن والشعر، ومال لتعلم المنطق وعلوم الطب والشريعة. من كتبه  ([لقانون في الطب](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8))، و([كتاب الشفاء](https://www.marefa.org/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%81%D8%A7%D8%A1)). توفي سنة ([427هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/427_%D9%87%D9%80)). لُقِّب بالشيخ الرئيس وبالمعلم الثالث بعد [أرسطو](https://www.marefa.org/%D8%A3%D8%B1%D8%B3%D8%B7%D9%88) [والفارابي](https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D9%8A).

وصف الشعر بأنه كلام مُخَيّـِل ، فهو ''كلام مخيل مؤلف مـن أقوال موزونة متساوية عند العرب مقفاة ومعنى كونها موزونة أن يكون لها إيـقاع ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية ومعنى كونـهـا مقـفاة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قول منها واحدا وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل''.
كما ركــز عـلى الـتخيـيل ودوره فـي المتلـقي، وفي ذلك قال: ''والمخيِّل هـو الكـلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عـن أمـور، وتنـقبـض عـن أمور من غير روية وفـكر واختـيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان المقول مصدَّقــاً به أو غير مصدق. فإن كونه مصدقاً به غير كونه مخيـلاً أو غـير مخـيل: فإنـه قـد يصـدق بقول مــن الأقـوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييل لا للتـصديق فكثيراً مــا يؤثر الانفــصال ولا يحـدث تصديقاً وربما كان المتيقن كذبه مخيلاً''.

وعـن طـريـق الـتخييل استطـاع ابن سينا التفريق بين الشعر وغيره من الـفنـون كـالنثر والخطابة قائلا: ''الشعر يستعـمل التخييل والخطابة تستعمل التصديق''.

وأما وسيلته فهي المحاكاة، وهي: ''إيراد مثل الشيء، وليس هو هو، فذلك كما يحاكى الحيوان الطبيعي بصورة ، هي في الظاهر كالطبيعي''.  وذلك أكثر تأثيرا في النفس، ''وإذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب - من الناحية المنطقية - ولكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق ، وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكره وهرب منها . وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق، لأن الصدق  المشهور كالمفروغ منه ، ولا طراوة له ، والصدق المجهول غير ملتفت إليه . والقول الصادق إذا حرف عن العادة ، وألحق به شيء تستأنس به النفس، فربما أفاد التصديق والتخييل معا، شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به، والتخييل إذعان ، والتصديق إذعان، لكن التخييل إذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول، والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه، التخييل يفعله القول لما هو عليه، والتصديق يفعله القول بما المقول فيه عليه، أي يلتفت فيه إلى جانب حال القول فيه''.

وتجـدر الإشـارة هـنا إلـى قضية هامة جدا وهى أن ابن سينا علم الفرق بين الشعر العربي والشعر اليوناني وطبيعـة كـلا منهـما، قـال فـي طبيعة الشعر اليوناني : ''الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال و الأحوال لا غير'' بينما العرب كانت ''تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحـو فعل وانـفعال و الـثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء للتعجب بحسن الـتشبيـه وأمـا الـيونانيون فـكانوا يـقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقـول عــن فعـل وتـارة كـانوا يفعلون ذلك عـلى سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعـر فـلذلـك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأقاويل و الأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفاعيل و الأحوال''.

 لذلك لم يتورط في تطبيق فن اـلشعر على الشعر العربي، ''إذ أكثر ما فيه اقتصاص أشعار ورسوم كانت خاصة بهم ومتعارفة بينهم يغلبهم تعارفهم إياها عن شرحها وبسطها''.
يقول ابن سينا في نهاية تلخيصه وترجمته لكتاب فن الشعر: ''هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول وقد بـقى منـه شطـر صـالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاما شديد التحصيل و التفصيل''.

(ينظر: مقالة في قوانين صناعة الشعراء ص 161 وما بعدها).

**ابن رشد** أبو الوليد محمد: ولد (520ه أو 526ه)، وتوفّي بمراكش سنة (595ه). يعدّ أشهر فيلسوف اقترن اسمه بأرسطو، ذلك أنه خصّص قسطا من حياته لدراسة وشرح فلسفته. ومن أعماله كتاب (تلخيص الخطابة)، وهو من (التلخيصات) أو (الشروح الوسطى) كما تسمّى في اللغات الأوربية الحديثة، وهو عرض وشرح بالترتيب لكتاب أرسطو (الخطابة)، يبتدئ الكلام بقول لأرسطو ثم يتبعه بشرح موسّع له، بحيث يستحيل الفصل بعده بين كلام كلّ منهما، وتلخيص لكتاب (فن الشعر).

يعـد ابن رشد واحدا من الفلاسفة الذين ترجموا كتاب (فن الشعر)، ويعـتبر أيـضا الـوحـيـد الـذي اختـلفـت تـرجـمتـه عـن بـاقي الترجمات والشـروح، فـقد لـوحظ عـليه سـوء الـفهـم لـلمصطـلحات الواردة في الـكتاب، ورأى البعض أنه أخطأ في ترجمته، وذلك يرجع إلى أنه استبدل أمـثلة أرسطو بأخرى عـربية مـن شعـر وآيات قرآنية.
ربط ابـن رشـد الـمحاكاة بالتشـبيه وقرنها بالتخيـيل، كما يتضح من قوله: ''ويجب على الشاعر أن يلزم في تخييلاته ومحاكاته الأشياء التي جرت العادة في استعمالها في التشبيه، وألا يتعدى ذلك طريقة الشعر''.
وتكون مـن قبل ثلاثة أشياء الوزن، والـلحن، والكلام ، والتخييل. قال ابن رشد: ''المـحاكـاة في الأقاويـل الشعـرية تكون مـن قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفقة، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيـه نفسه وقد تجتمع هذه الثلاثـة مـع بعضها وهذا الذي يوجد في الموشحـات والأزجـال وقد توجد كل واحد منها مفردا مثل وجود النغم في المزامير، والوزن في الرقص، والمحاكاة في اللفظ''.

كما أوضح العلاقة بين التخييلات والمعاني والأوزان بقوله: ''من التخييلات والمعاني ما يناسب الأوزان الطويلة، ومنها ما يناسب القصيرة، وربما كان الوزن مناسبا للمعنى غير مناسب للتخييل، وربما كان الأمر بالعكس، وربما كان غير مناسب لكليهما''.

لقد بحث ابن رشد على غرار الفلاسفة المسلمين حد الشعر والعلاقة بين الوزن والمعنى وبينه وبين المحاكاة، ومفهوم التخييل وعلاقته بالتشبيه، ومع ذلك فإنه أكثر اختلافا عن سابقيه من حيث فهمه وتعامله مع تراث أرسطو في الشعر.

 (أرسطوطاليس، في الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمان بدوي، ص: 201 وما بعدها).

**خلاصة وتقييم:**

أمدت الفلسفة النقاد المتأثرين بها بطرائق في التحليل والتعليل، وميزت لغتهم النقدية. وقد برز في النقد الفلسفي أعلاما ساهموا بالارتقاء من النقد من مجرد التأثرية المطلقة إلى التعليل المنطقي.

**مراجع للتوسع:**

1-أرسطوطاليس، في الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمان بدوي.

2-محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، القاهرة، مصر، مارس 2005.

3-إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

4-عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

**محاضرة رقم 07**

**أثر المعتزلة على النقد:**

**أولا التعريف**
 المعتزلة فرقة إسلامية أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وكان لها أكبر الأثر على ثقافة المسلمين لاعتمادها العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية بسبب تأثرها بالفلسفة.

تقوم فكرة المعتزلة على أن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل، فهو يخلق أفعاله بنفسه، ولذلك كان التكليف، وأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق، فهو بمنزلة بين المنزلتين.

 وأما مذهبهم فيتلخص في خمسة أصول هي:

1 -التوحيد 2- العدل 3- الوعد والوعيد 4- المنزلة بين المنزلتين 5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
**ثانيا: النشأة وأبرز الشخصيات:**

بالإضافة إلى الاختلافات السياسية والعقيدية التي عرفها المسلمون بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، واختلافهم في مسألة أحقية الحكم التي ازدادت حدة بعد وفاة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، يذهب أغلب الباحثين في شأن المعتزلة إلى أن مدرسة المعتزلة بدأت مع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وكانت فترة نشاطهما أثناء خلافة هشام وخلفائه الأمويين، أي من سنة (105 ه)ـ إلى سنة (131ه)ـ

وأما عن سبب تسميتهم ''معتزلة'' فلأنهم اعتزلوا المسلمين بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين، بعد أن اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، وشكّل حقلة خاصة به لقوله بالمنزلة بين المنزلتين، وقول الحسن: "اعتزلنا واصل".

 ومن أبرز مفكري المعتزلة منذ تأسيسها على يد واصل بن عطاء:

1/ **إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظام البصري أبو إسحاق** (توفي سنة 231هـ). تأثر بالفلسفة اليونانية مثل بقية المعتزلة. اختلف في سبب إطلاق هذا اللقب عليه، فأشياعه يقولون إنها من إجادته لنظم الكلام، بينما أرجع خصومه ذلك بأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. تبحّر في علوم الفلسفة. ذكر له المؤرّخون وكتّاب التراجم كتباً كثيرة في الفلسفة والاعتزال، إلاّ أنها لم تصل، كما رُوي عنه شعر وأدب.

**2/ بشر بن المعتمر** الهلالي (ت 226ه)، رأس معتزلة بغداد، وواحد من أبرز أدبائهم المعروفين. لبشر بن المعتمر أهمّيته في أدب المعتزلة، فهو صاحب الصحيفة المشهورة التي وضع فيها القواعد الأساسية لعلم البلاغة العربية، وقد أثبتها الجاحظ في (البيان والتبيين) مع تعليقات وشروح عليها وتحليلات لها، وكذلك نقل مقاطع منها صاحب (الصناعتين)، و(العمدة).

3/ **عمرو بن بحر** أبو عثمان الجاحظ (ت سنة 256هـ)، وهو من كبار كتاب المعتزلة، ومن المطلعين على كتب الفلاسفة، يعدّ من أساطين الأدب العربي وزعيم صنعته من البلاغيين، وأحد أشهر متكلّمي المعتزلة، فما خلّفه الرجل من آثار ومؤلّفات تجسّد بوضوح جميع النزعات والاتجاهات الإعتزالية. وتتجلى قدرته في عرض الحقائق والظواهر العلمية بأسلوب أدبي: إذ له قدرة فائقة على عرض الفكرة ومعالجتها، وهو دائماً يذهب من المقدّمات إلى النتائج، ومن الخاصّ إلى العام، متّبعاً طريق الجدل المنطقيّ، جامعا بين الفكرة والطرفة، ليوصلها للعامة فضلا عن الخاصة، لغته بسيطة لكنها معبرة.

4/ **الزمخشري** أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد جار الله، (467 ه - 538هـ). ولد في "زمخشر" من إقليم "خوارزم" الفارسي. درس العلوم اللغوية والدينية، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفّر النيسابوري، وأبي مضر محمد بن جرير الضبيّ الأصبهاني، وقضى شطراً كبيراً من حياته في الترحال، فأقام في بغداد مدّة، وجاور بمكة طويلاً، وبها أملى تفسيره الكشّاف. كان كاتباً، وشاعراً، ومفسّراً للقرآن الكريم. بالإضافة إلى (الكشّاف)، فإن للزمخشري كتباً معروفة من أهمّها كتاب (المفصّل) في النحو، وقد عُني به من جاؤوا بعده وشرحوه مراراً، ومعجم (أساس البلاغة)، وكتاب (أطواق الذهب).

**5/ ابن أبي الحديد المعتزليّ** عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني، (586- 656ه)، ولد في المدائن، وتلقى عن شيوخها، ودرس المذاهب الكلامية ثم مال إلى مذهب الاعتزال. سافر في مطلع شبابه إلى بغداد حيث استزاد من العلم فيها، واختلط بالعلماء فيها، وفيها نال الحظوة لدى الخلفاء العباسيين، وله مع الأشعري والغزالي والرازي كتب ومواقف.

**المعتزلة والنقد:**

عرف المعتزلة بمقدرتهم على الجدل، وبثقافتهم العقلية والمنطقية الواسعة، وتمرّسهم في قواعد وأساليب الجدل التي اقتبسوها من اليونانيين بالدرجة الأولى، فالمعتزلة- على غرار الجاحظ، والنظّام، وثمامة بن الأشرس، وأبي حيّان التوحيدي وغيرهم-، كانوا من أمهر الأدباء والشعراء، ولعله السبب الذي مكنهم من بسط الموضوعات العلمية والفلسفية المعقّدة والشائكة، وتقديمها إلى عامّة الجمهور بأسلوب سهل مبسّط جذّاب يتميّز بالطابع الأدبي والفنّي. وأبرز ما خلفوه، ما ورد في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وصحيفة بشر بن المعتمر وهي أقدم وأبرز مصدر بلاغي. يقول بشر في مقدّمة صحيفته: ''خُذْ من نفسكَ ساعة نشاطك وفراغَ بالِكَ وإجابَتها إياك، فإن قليلَ تلك الساعة أكرمُ جوهراً وأشرفُ حسباً، وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلبُ لكل عين، وغرُّة ، من لفظ شريف ومعنى بديع، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومك الأطولُ بالكدّ والمطاولةِ والمجاهدة وبالتكلّفِ والمعاودةِ، ومهما أخطأكَ لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسانِ سهلاً، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه…''.

**مراجع للتوسع:**

**1-** إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

2-البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ط7، 1418هـ-1998، القاهرة، مصر.

3-رسائل الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، القاهرة، مصر.

4-ابن رشيق المسيلي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح عبد الواحد النبوي شعلان، ج1، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ/2000م، القاهرة، مصر.

**محاضرة رقم 08:**

**مفهوم النثر في التراث النقدي**

**تطور النثر العربي:**

النثر لغة -كما ورد عن صاحب اللسان-: ''النثر نَثرُكَ الشيءَ بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسکر وکذلك نثر الحبّ إذا بُذر ''.

### أما اصطلاحاً فهو الكلام من دون وزن، ويتفرع لنوعين: النثر العادي. وهو الكلام الحاصل بين العامة من دون تنبه لعلامات البلاغة ومحسناتها، والنثر الفني، وهو أدب وفن ومهارة وبلاغة، ويشمل القصص والرسائل الأدبية المحبرة، والكتابة التاريخية المنمقة، والمقامات، والخطب البليغة، وغيرها.

### نشأة النثر الفني:

يجد الباحث عنتا كبيرا حينما يحاول تحديد الوقت الذي نشأ فيه النثر الفني في الثقافة العربية، والسبب في ذلك عدم توفر المصادر الكافية التي تسعفه للخروج بنتيجة موثوق بها، خاصة وأن ظروفا كثيرة تعترض سبيله أهمها: عدم توفر وائل التدوين في العصور العربية الجاهلية، وانتقال النصوص الأدبية شفاهية لأزمنة طويلة. ومع ذلك فقد اجتهد عدد من الدارسين في تحديد سنة ميلاد النثر الأدبي العربي القديم، وقد اختلفوا في ذلك بين قائل بأن النثر العربي قديم منذ العصر الجاهلي، ويمثلهم زكي مبارك وآخرون، وبين من أرجع ميلاده إلى عصور التدوين المتأخرة وبالإسلام، وهؤلاء أنصار طه حسين.

(ينظر: شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956/ محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة/ زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية القاهرة، 1352هـ، 1934م).

### ومهما اختلفت الآراء، فإن المؤكد أن النثر العربي عرف تطورا ملحوظا عبر العصور الإسلامية لأسباب حضارية، حيث تطورت الكتابة، وصارت ضرورة اجتماعية وعلمية وإدارية ملحة في الدواوين المختلفة.

# النقد القديم والنثر الفني:

مما تنبغي الإشارة إليه أن القدامى أطلقوا على النثر مصطلحات كثيرة أبرزها: المنثور والكلام و الكتابة. وهي مصطلحات قد تبدو متباينة من حيث دلالاتها. ثم جعلوا المنثور يباين المنظوم ويخالفه، يقول ابن خلدون: ''وإنما المقصود منه [أي من علم الأدب] عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب و مناحيهم''

 (مقدمة ابن خلدون، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، 1425 هـ ـ 2005 م، ص: 55).

ويتفرع المنثور إلى أنواع مختلفة. جاء في كتاب (البرهان): ''فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه''.

(أبو الحسين إسحاق بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تق وتح حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة، الطبعة الأولى 1969، ص: 15).

وقال أبو هلال الكلام: ''أجناس الكلام المنظوم (ثلاثة) الرسائل، والخطب، والشعر. وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب''.

(أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1401 هـ ـ 1981 م، ص: 179).

وجاء عن ابن خلدون قوله: ''اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنيين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى... وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام''.

(مقدمة ابن خلدون، ص: 565).

وتتميز الكتابة عن الكلام، بعدة مميزات، قال العسكري: ''الكلام أيدك الله، يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه...''.

(أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، ص: 69).
وقال محددا شروط كتابة الرسائل: ''فأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك... مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم و قوتهم في المنطق''.
( كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، ص: 172).

 فالكاتب مطالب، في رسائله، بمراعاة الأحوال الاجتماعية والقدرات العقلية.

كما اتخذت عملية تصنيف النثر في النقد العربي أبعادا أخرى تبعا لزوايا النظر، وللمعايير المعتمدة من قبل الدارسين، ومنها معيار الإيقاع. يقول ابن خلدون: ''وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا؛ ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا... بل يرسل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها''.

(مقدمة ابن خلدون، ص: 565 ، 566).

ومنها معيار الدين. يقول ابن عبد الغفور الكلاعي: ''ورأيي أن القريض قد تزين من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية، صار بها أبدع مطالع، وأصنع مقاطع، وأبهر مياسم، وأنور مباسم. وأبرد أصلا، وأشرد مثلا، وأهزّ لعطف الكريم، وأفلّ لغرب اللئيم. لكن النثر أسلم جانبا، وأكرم حاملا وطالبا''

(ابن عبد الغفور الكلاعي: إحكام صنعة الكلام، ص: 36).

**خلاصة وتقييم:**

اعتقد النقد العربي القديم أن النثر العربي القديم فن وأدب وبلاغة تميز بها العرب عن غيرهم، فأبدى اهتمامه به بضبطه بما يلائمه من المعايير والمقاييس المناسبة، سواء تعلق الأمر بالشكل أو بالمضمون، واختلفت النظرة إليه باختلاف موقف صاحبه من الشعر ووظيفته.

**مراجع للتوسع:**

 1-مقدمة ابن خلدون، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، 1425 هـ ـ 2005 م.

2-أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تق وتح حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة، الطبعة الأولى 1969.

3-أبو هلال الحسن العسكري: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1401 هـ ـ 1981 م.

4-أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الإشبيلي الأندلسي: إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، تح رضوان الداية، دار الثقافة بيروت 1966.

5-شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الأندلس بيروت، الطبعة الثانية، 1956.

6-محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

7-زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع، دار الكتب المصرية القاهرة، 1352 هـ، 1934م.